السنة السادسة والتسعون بعد المئة

فيها سار طاهرٌ يطوي البلاد، فنزل حُلوانَ بقريةٍ يقال لها: شلاشان[١]، فخندق بها[٢].

وفيها جهَّز الأمينُ أحمدَ بن مَزْيَدٍ وعبدَ الله بنَ حُمَيد بنِ قَحْطَبة. قال أسدُ بن يزيدَ بن مزيد الشَّيباني: دخلت على الفضل بنِ الربيع بعد ما قُتل عبدُ الرَّحمن الأنباريُّ وبيده رُقعةٌ قد قرأها، واحمرَّت عيناه واشتدَّ غضبه، وهو يقول: ينام نومَ الظَّرِبَان[٣]، وينتبه انتباهَ الذئب، همُّه بطنه، يُخاتل الرِّعاء والكلابُ تَرْصُده، لا يفكِّر في زوال نعمة، ولا يروِّي في إمضاء رأيٍ ولا مكيدة، قد ألهاه كأسُه، وشَغَله قَدَحُه، فهو يجري في لهوه، والأيام تُوضِع في هلاكه، قد شمَّر له عبدُ الله عن ساقه، وفوَّق له أصوبَ[٤] أسهُمه، يرميه على[٥] بعد الدِّيار بالحتف النافذ، والموتِ الناقع، قد عبأ له المنايا على متون الخيل، وناط له البلايا في أسِنَّة الرماح وشِفار السيوف، ثم استرجع وتمثَّل بشعر البَعيث[٦] من أبيات: [من الطويل]

طوَاه طِرادُ الخيلِ في كلِّ غارةٍ ... لها عارضٌ فيه الأسنَّة تُرزِمُ[٧]

يُقارع أبطالَ[٨] ابنِ خاقانَ ليلةً ... إلى أن دنا الإصباحُ ما يَتَلَعْثَمُ

فيُصبح من طُول الطِّراد مُسَهَّداً ... وأُضحي في طيب النَّعيمِ أُصَمِّمُ[٩]

---

(١) في (ب) و (خ): شاسلان، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤١٧ و٤٣٢، وابن الأثير ٦/ ٢٦٢.

(٢) من هنا إلى قوله بعد صفحات: وفيها ولى الأمين عبد الملك بن صالح الجزيرة، ليس في (ب).

(٣) دويبة كالهرة منتنة. القاموس المحيط (ظرب).

(٤) في (خ): أصيب، والمثبت من تاريخ الطبري وابن الأثير ٦/ ٢٥٢.

(٥) في (خ): عن.

(٦) في (خ): العتب، والمثبت من تاريخ الطبري وابن الأثير.

(٧) في (خ): تردم، والمثبت من الطبري وابن الأثير. أرزم الرعد: اشتد صوته. القاموس المحيط (رزم).

(٨) في تاريخ الطبري وابن الأثير: أتراك.

(٩) في تاريخ الطبري ٨/ ٤١٩:

=

أُباكِرُها صَهْباءَ كالمِسْك ريحُها لها أَرَجٌ في دَنِّها حين تَرْشُمُ[1]
فشَتَّان ما بيني وبين ابن خالدٍ أُميَّةَ في الرِّزق الذي اللهُ يَقسم

ثم قال: يا أبا الحارث، إنا وإياك نجري إلى غايةٍ، إن قصَّرنا عنها ذُمِمْنا، وإن اجتهدنا [في] بلوغها قصَّرنا وانقطعنا، وإنما نحن شِعْبٌ من أصل، إنْ قوي قوينا، وإن ضَعُفَ ضَعُفْنا، وإنَّ هذا الرجلَ قد ألقى بيده إلقاء الأَمَة الوَكْعاء[2]، يُشاور النِّساءَ في أمره، قد أمكن مَسامعَه من أهل اللهوِ والجَسارة واللَّعب، فهم يَعِدونه الظَّفرَ، ويمنُّونه النَّصر، والهلاكُ أسرعُ إليه من السَّيل إلى قِيعان الرَّمْل، وقد خشيتُ أن نهلكَ بهلاكه، ونَعْطَبَ بعطَبه، وأنت فارسُ العرب وابنُ فارسها، وقد فزع إليك هذا الرجل، وأطمعه[3] فيما قِبَلك أمران، أحدهما: صدقُ طاعتك وفَضْلُ نصيحتك، والثاني: شدَّة بأسِك وشَرَفُ نفسك، وقد أمرني بتجهيزك، وإزالة عِلَّتك، وبسطِ يدك فيما أحببت، غير أنَّ الاقتصاد رأسُ النصيحة، ومفتاح اليُمن والبركة، فأَنجِزْ حوائجك، وعجِّل المُبادرةَ إلى عدوِّك، فإني أرجو أن يوليَك اللهُ شرفَ هذا الفتح، ويَلُمَّ بك شعثَ الخلافةِ والدولة.

قال أسد: فقلت: أنا لطاعة أميرِ المؤمنين وطاعتك مُقَدِّم، وعلى ما أدخل الوهنَ والذُّلَّ على عدوِّه وعدوِّك حريص، غير أنَّ المحارِبَ لا يعمل بالغرور [ولا يفتتح] أمرَه بالتقصير والخَلَل، وإنما مِلاكُ المحارب الجنود، وملاكُ الجنودِ المال، وقد ملأ أميرُ المؤمنين أيديَ مَن شهد العسكر من جنوده، وتابع لهم الأرزاقَ الدارَّةَ، والصِّلاتِ الجَزيلةَ، والفوائدَ التامَّة، فإن سرتُ بأصحابي وقلوبُهم متطلِّعة إلى مَن خلفهم من إخوانهم، لم أنتفعْ بهم في لقاء مَن أمامي، والذي أسأله أن يؤمرَ لأصحابي برزق سَنة، ويحملَ معهم مثل ذلك، ولا أُسأل عمَّ افتتحتُ من البلاد والكُوَر. فقال: قد أَشْطَطْتَ،

= فيصبح من طول الطراد وجسمه نحيل وأضحي في النعيم أصمصم
وانظر الكامل ٦/ ٢٥٣.

(١) في (خ): بوسم، وفي الكامل: يرسم، والمثبت من تاريخ الطبري. وترشم: تختم. مختار الصحاح (رشم).

(٢) في (خ): الكوعاء، والمثبت من تاريخ الطبري وابن الأثير. والوكعاء: الحمقاء الوجعاء. القاموس المحيط (وكع).

(٣) في (خ): وأطعمه، والمثبت من تاريخ الطبري وابن الأثير.

ولا بدَّ من مُطالعته بما قلت.

ثم ركب وركبتُ معه، فدخل قبلي على محمَّد ودخلتُ بعده، فما دار بيني وبين محمَّد سوى كلمتين حتى غضب وأمر بحبسي.

وقيل: إنَّ أسداً قال لمحمَّد: ادفع إليَّ ولدَي المأمون [حتى] يكونا أسيرَين في يدي، فإن أطاعني وألقى إليَّ بيده، وإلَّا عملتُ فيهما بحُكمي، وأنفذتُ فيهما أمري. فقال له محمَّد: أنت أعرابيٌّ مجنون، أدعوك إلى ولاية أعِنَّة العربِ والعجم، وأُطعمك خراجَ كُوَر خُراسانَ والجبال، وأرفع منزلتَك على نُظَرائك من أبناء القوَّاد والملوك، وتدعوني إلى قتل ولدي، وسفكِ دماءِ أهل بيتي، إنَّ هذا لَخُرْقٌ وتخليط. وأمر بحبسه. وكان للمأمون ابنان مع أمِّهما أمِّ عيسى بنتِ موسى الهادي.

ولما غضب محمَّد على أسدٍ وحبسه، سأل: هل في أهل بيته مَن يقوم مَقَامَه؟ وقال محمَّد: أكره أن أستفسدَهم مع سابقتهم وما تقدَّم من نُصحهم وطاعتهم، فقالوا: نعم فيهم أحمدُ بن مزيد، وهو أحسنُهم طريقة، وأصلحُهم نية، وله بأسٌ ونَجْدة في الحروب، وبَصَرٌ بسياسة الجنود، وكان قد خرج إلى ضَيعة له، فبعث خلفه بَريداً ولم يصل بعدُ إلى ضيعته، فرُدّ. قال أحمد: فلمَّا دخلت بغدادَ بدأتُ بالفضل بنِ الربيع، فإذا عنده عبدُ الله بنُ حُمَيد بنِ قَحْطَبة، وهو يريده إلى المسير إلى طاهر، وعبد الله يشتطُّ عليه في طلب المالِ والرجال، فلما رآني، رحَّب بي، وأخذ بيدي حتى رفعني معه إلى صدر المجلس، وأنشد: [من البسيط]

إنَّا وَجَدْنا [لكم] إذ رَثَّ حَبْلُكمُ ... من آل شَيبانَ أُمَّا دونكمْ وأبا

الأكثرون إذا عَدُّوا الحَصَى[1] عَدَداً ... والأقربون إلينا منكمُ نَسَبا

فقال عبد الله: إنَّهم لكذلك، وإنَّ فيهم لسدَّ الخَلَل، ونكايةً في العدوّ، ودفعَ معرَّة[2] أهلِ المعصية عن أهل الطاعة.

قال أحمد: فأقبل عليَّ الفضلُ وقال: إنَّ أمير المؤمنين أَجرى ذِكرك، فوصفتُك له

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٤٢١، وابن الأثير ٦/ ٢٥٥: عد الحصى. وما بين حاصرتين منهما.

(٢) في (خ): معيرة.

بحُسن الطاعة، وفضلِ النصيحة، والشدَّة على أهل المعصية، والتقدُّم بالرأي، فأحبَّ اصطناعك، والتَّنويهَ باسمك، وأن يرفعَك إلى منزلة لم يبلغْها أحدٌ من أهل بيتك.

ثم قام وقمتُ معه، فأدخلني على محمَّد وهو في صحن دارِه على سريرٍ له، فأدناني حتى كدت أن أُلاصقَه، وقال: قد كثر عليَّ[1] تخليطُ ابنِ أخيك وتنكُّره وخلافه، حتى أوحشني ذلك منه، وولَّد في قلبي التُّهَمة له، فأصاره التأديبُ على ذلك إلى الحبس، فلم أكن أحبُّ ذلك، وقد وُصفتَ لي بخير، ونُسِبت إلى جميل، وقد أحببتُ أن أرفعَ قَدْرَك، وأقدِّمَك على أهل بيتك، وأولِّيك جهادَ هذه الفئةِ الباغية النَّاكِثة، وأعرِّضَك للأجر والثوابِ في قتالهم، فانظر كيف تكون، وصحِّح نيَّتك، وأَعِن أميرَ المؤمنين، وسُرَّه في عدوِّه، ليعمَّ سرورُك وتشريفك.

قال أحمد: فقلت له: سوف أبذُل في طاعة أميرِ المؤمنين -أعزَّه الله- مُهْجَتي، وأبلغ من جهاد عدوِّه أفضلَ ما أمَّله عندي، ورجاه من نهضتي وكفايتي إن شاء اللهُ تعالى. ثم قال: يا فضل، جهِّزه، فقال: سمعاً وطاعة. فعرض الرجالَ، وأزال الشكاوى، فكانوا عشرين ألفاً.

قال أحمد: ولمَّا ودَّعتُه قلت: أَوصِني يا أميرَ المؤمنين، فقال: إياك والبغيَ؛ فإنَّه عِقالُ النصر، ولا تقدِّم قَدَماً إلَّا بالاستخارة، ولا تَشهَر سيفاً إلَّا بعد الإعذار، ومهما قدرتَ عليه باللِّين فلا تتعدَّه إلى الخُرْق والشدَّة، وأحسن صَحابةَ مَن معك من الجند، وطالعني بأخبارك في كلِّ يوم، ولا تخاطرْ بنفسك في طلب الزُّلفى عندي، ولا تستَبْقها فيما تتخوَّف رجوعَه عليّ، وكن لعبد اللهِ أخاً مُصافياً، وقريناً بَرًّا، وأَحسِن صحبتَه ومعاشرته، ولا تخذلْه إن استنصرك، ولا تُبطئ عليه إن استصرخك، ولتكن أيديكما واحدة، وكلمتُكما متَّفقة، ثم قال: سلْ حوائجك، وعجِّل السَّراحَ إلى عدوِّك. فقال أحمد: يا أميرَ المؤمنين، حاجتي أن تُكثرَ لي من الدُّعاء، ولا تقبل فيَّ قولَ باغٍ ولا حاسد، ومُنَّ عليَّ بالصفح عن ابن أخي. قال: قد فعلت ثم أرسل إلى أسد، فحلَّ قيودَه وأطلقه.

وسار أحمدُ بن مزيد في عشرين ألفاً من العرب، وسار عبدُ الله بن حُمَيد بنِ قَحْطَبةَ

(١) في (خ): عليك، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٢٢.

في عشرين ألفاً من الأنبار[١]، وأمرهما أن ينزلا حُلْوانَ ويدفعا طاهراً عنها، وأوصاهما بالتودُّد والتَّحابُب واجتماعِ الكلمة، فسارا حتى نزلا خانِقين، وأقام طاهرٌ بحُلْوانَ وخندق عليه، ودسَّ الجواسيسَ إلى عسكرهما، فكانوا يأتونهم بالأراجيف، ويُخبرونهم أنَّ محمَّداً قد وضع العطاءَ لأصحابه، ولم يزل يحتال في وقوع الخلافِ بين أحمدَ وعبدِ الله حتى أَوقع بينهما، فقاتل بعضُهم بعضاً، ووقع السيفُ بينهم، فانتقض أمرُهم، ورجعوا من خانِقين إلى بغداد، ولم يلقَوا طاهراً، وأقام طاهرٌ بحلوان، فبينما هو كذلك، إذ قدم هَرْثَمةُ بن أَعْيَنَ من خُراسانَ بكتاب المأمون وذي الرِّياستين يأمرانه بتسليم ما حوى من المدن والكُوَرِ إليه، وأن يتوجَّه طاهرٌ إلى الأهواز، ففعل، وأقام هرثمةُ بحُلْوان.

وفيها رفع المأمونُ منزلةَ الفضلِ بن سهل، وعقد له على المَشْرق طولاً وعرضاً، وجعل مَغَلَّه ثلاثةَ آلاف ألفِ درهم، وكتب على سيفه ذا الرِّياستين، من جانب: رياسةُ الحرب، ومن جانب: رياسةُ العلم والتدبير[٢]، فقام بأمور المأمونِ كما يحبّ، وولَّى المأمونُ أخاه الحسنَ بن سهل دواوينَ الخراج.

وفيها ولَّى الأمين عبدَ الملك[٣] بنَ صالح الجزيرةَ والشام[٤]. وسببه: لمَّا قوي طاهرٌ واستفحل أمرُه وهزم مَن هزم، قال عبدُ الملك للأمين: يا أميرَ المؤمنين، إنَّك قد أحسنت إليّ، وإنِّي أرى الناسَ قد طمعوا فيك، وقد عوَّدتَ العساكرَ جودَك وسماحتك، فإن استمرَّيتَ على عادتك، أفسدتهم وأَبطرتهم، وإن منعتهم العطاء، أسخطتَهم وأغضبتهم، وليس تُملَك الجنودُ بالمنع من العطاء، ولا تبقى الأموالُ مع البذل والإنفاق، ومع هذا فجندُك قد أَرعبتْهم الهزائم، وأضعفتهم الوقائع، ونَهَكَتْهُم الحروب، وملأت قلوبَهم الهَيْبة، فنكلوا عن لقاء عدوِّهم، وكلَّما سيَّرتهم إلى طاهرٍ

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٤٢٣: الأبناء.

(٢) في المنتظم ١٠/ ٢٣: وسماه ذا الرئاستين، وكان على سيفه مكتوب من جانب: رئاسة الحرب، ومن جانب: رئاسة التدبير. وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٤٢٤، وابن الأثير ٦/ ٢٥٧.

(٣) في (خ): عبد الله، والمثبت من (ب) والمصادر.

(٤) بعدها في (ب): وفيها خلع الأمين وبويع للمأمون ببغداد، ثم أعيد الأمين، وحج بالناس العباس بن موسى ابن عيسى، وكان المأمون قد أعيد إلى الخلافة بمكة والمدينة. اهـ. واختصرت بذلك أحداث هذه السنة.

غلب بقليل ما معه كثير ما معك، وأهلُ الشام قومٌ قد ضَرَسَتْهم الحرب، وأدَّبتهم الشدائد، وكلُّهم مُسارعٌ إلى طاعتي، فإن اتخذتَ منهم جنداً، كان أعظمَ في النِّكاية في العدوّ. فقال محمَّد: ولَّيتك ذلك، فعجِّل الخروج، واعمل برأيك.

وكتب عهده على الجزيرة والشام، فسار إليها، فنزل الرقَّة، وكتب إلى أمراء الأجنادِ والعربِ ووجوهِ الناس، فأقبلوا عليه من كلِّ وجه، فأحسن إليهم، ووصلهم بالأموال والخِلَع، فبينا رجلٌ من الأبناء من أهل خراسانَ يمشي، إذ نظر إلى دابَّة كانت له أُخذت في بعض وقائع أبي العَمَيطَر تحت رجلٍ من أعراب الناس، فتعلَّق به، واجتمع جماعةٌ من الأبناء وجماعةٌ من أهل الشام، وتَلاحَوا وتنادَوا، فنَشِبَت الحربُ بينهم، وعلى[1] الأبناء الحسينُ بن عليِّ بنِ عيسى بن ماهان، وعلى أوباش الشام جماعةٌ منهم العباسُ ابن زُفَر، واقتتلوا قتالاً عظيماً، فقُتل من الفريقين خلقٌ عظيم، وانهزم أهلُ الشام وتفرَّقوا في كلِّ وجه، وانتقض ما كان عبد الملك دبَّره، وقال: أردنا أمراً وأراد اللهُ غيرَه، ومات عبدُ الملك بعد الوقعةِ بأيام.

وفيها خُلع الأمينُ وبويع للمأمون ببغداد، ثم أُعيد الأمين.

وسبب ذلك أنَّ عبد الملكِ لمَّا مات بالرقَّة، كان في جنده الحسينُ بن عليِّ بن عيسى ابنِ ماهان، فجمع الأبناءَ واستقلَّ بالأمر، وأنفق فيهم الأموال، وسار بهم نحوَ بغداد، فقدمها، فاستقبله الأشرافُ والقوَّاد ووجوهُ الناس، وضُربت له القِباب، ونزل في داره على أكملِ هيبة، وذلك في رجب، وكان يوماً مَشهوداً، فلمَّا كان في الليل، بعث الأمينُ بطلبه، فأغلظ لرسوله، وقال: ما أنا مغنٍّ ولا مُسامرٌ ولا مُضحك حتى يطلبني في هذه الساعة، [انصرف][2] حتى إذا أصبحتُ غَدوت عليه.

فلما طلع الفجر، ركب في الموالي، وجاء حتى وقف بباب الجسر، واجتمع إليه الناس، فقال: يا معشرَ الأبناء، إنَّ خلافة اللهِ لا تُجاور بالبَطَر[3]، ونِعَمَه لا تُسْتَصْحَب

(١) في (خ): ونعلهم على؟! وفي المصادر: وقام بأمر الأبناء، انظر تاريخ الطبري ٨/ ٤٢٦، والكامل ٦/ ٢٥٨، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٤٠.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٤٢٨، وابن الأثير ٦/ ٢٥٩.

(٣) في (خ): إن في خلافة الله تجاوز بالبطر، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٢٨، والمنتظم ١٠/ ٢٤، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٤١.

بالتكبُّر، وإنَّ محمَّداً يريد أن يَنْكُثَ بَيعتكم، ويفرِّقَ جمعكم، وينقلَ عزَّكم إلى غيركم، وقد رأيتم فِعلَه مع أهل الشامِ بالأمس، وإن وجد قوَّةً من أمره ليرجعنَّ وبالُ ذلك عليكم، فاقطعوا أثرَه قبل أن يقطعَ آثاركم، وضعوا عزَّه قبل أن يضعَ عزَّكم، فواللهِ لا ينصره ناصرٌ إلا خُذل، ولا يمنعه مانعٌ إلا قُتل، ولقد علمتم نقضَه للعهود ونكثَه، وما عند اللهِ لأحدٍ هوادة، ولا يراقب على الاستخفاف [بعهوده والحنث بأيمانه].

ثم عبر الجسرَ واجتمع إليه أهلُ الأرباض، وجاءت خيلٌ من عند محمَّد، فقاتلوه، فهزمهم حتى تفرَّقوا عن باب الخُلدِ ومحمَّد فيه، فخلع الحسينُ محمَّداً يوم الأحدِ لإحدى عشرةَ ليلةً خلت من رجب، وأخذ البيعةَ للمأمون، وأخرج محمَّداً من قصر الخلدِ فحبسه في قصر أمِّ جعفر، وقال العباسُ بن موسى بنِ عيسى لأمِّ جعفرٍ زبيدة: أُخرجي من هذا القصر، فأبت، فقنَّعها بالسَّوط وسبَّها سبّاً قبيحاً، وحمُلت إلى مدينة أبي جعفر.

ثم أصبح الناسُ قد ماج بعضُهم في بعض، واجتمعوا إلى محمَّد بنِ أبي خالد، فقال لهم: أيها الناس، والله ما أدري بأيِّ سببٍ يتأمَّر علينا الحسينُ بن ماهانَ ويتولَّى هذا الأمرَ دوننا، وليس هذا بأكبرنا سِنًّا ولا أكرمنا[1] حَسَباً، ولا أعظمنا منزلة.

وقال أسدٌ الحربي: يا معاشرَ الحربية، هذا يومٌ له ما بعده، إنَّكم قد نمتم وطال نومُكم، وتأخَّرتم فقدم عليكم عدوُّكم، ومحمَّد قد خُلع وأُسر، فاحملوا في إطلاقه.

وقال لهم بعضُ الشيوخ: هل تعلمون أنَّ محمَّداً قطع أرزاقكم؟ قالوا: لا، قال: فهل قصَّر في حقِّ أحدٍ من رؤسائكم وكبرائكم؟ قالوا: لا، قال: فما بالُكم خذلتموه وأعنتم عدوَّه حتى خُلع وأُسر؟! أما واللهِ ما قتل قومٌ خليفتهم إلَّا سلَّط الله عليهم السيفَ القاتل والحَتْفَ الزاحف، انهضوا إلى قصر خليفتِكم.

فنهضوا ونهض معهم أهلُ الأرض، فقاتلوا الحسينَ بن علي، فقتلوا من أصحابه مَقتلةً كبيرة، وأسروا الحسين، ودخلوا على محمَّد، ففكُّوا قيودَه وأعادوه إلى مجلس الخلافة، وأُتي بالحسين أسيراً إلى بين يديه، فعاتبه وقال له: ألم أقدِّم أباك على

(١) في (خ): أكبر منا، والمثبت من الطبري ٨/ ٤٢٩، وما بين حاصرتين منه.

الناس، وولَّيته أعِنَّةَ الخيل، وملأت يدَه من الأموال ورفعتُ أقدارَكم ومنازلَكم على غيركم؟! قال: بلى، قال: فما الذي استحققتُ به منك أن تخلعَ طاعتي وتندب الناسَ إلى قتالي؟ قال: الثقةُ بعفوك، وحسنُ الظنِّ بصَفْحك، قال: قد عفوت عنك، وولَّيتك الطلبَ بثأر أبيك.

ثم خلع عليه وحمله على مركبٍ من مراكبه، وولَّاه ما وراء بابِه، وأمره بالمسير إلى حُلوانَ لقتال طاهر، فعبر على جسر بغدادَ إلى الجانب الشرقي، فلمَّا جاوز الجسر قطعه وهرب، فنادى محمَّد في الناس، فركبوا في طلبه، وكان في نَفَرٍ من خدمه ومواليه، ولحقه الناس، فجعل يحمل عليهم، فيهزمهم ويقتل فيهم، فعثر فرسُه فسقط، وحمل عليه الناسُ فقتلوه، وجاؤوا برأسه إلى محمَّد، فقال عليُّ بن جَبَلةَ الحَرْبي[1]:

ألا قاتل اللهُ الأُلى كفروا به ... وفازوا برأس الهَرْثَميِّ حسينِ
لقد أورَدُوا منه قَناةً صَليبةً ... بشِطْبٍ[2] يَمانيٍّ ورمح رُدَيني
رجا في خلاف الحقِّ عزًّا وإمرةً ... فألبسه التَّأميلُ خُفَّ حُنين

وكان قتل الحسينِ في النِّصف من رجبٍ في مسجد كَوْثر الخادم، وهو على فرسخ من بغدادَ في طريق النَّهرين. واختفى الفضلُ بن الربيع في تلك الليلة. وجُدِّدت البَيعة لمحمَّد يوم الجمعة لستَّ عشرةَ خلت من رجب، وكان حبسُه في قصر أبي جعفرٍ يومين.

وفيها توجَّه طاهرٌ إلى الأهواز من حُلوانَ لمَّا نزلها هَرْثَمة، وكان بالأهواز محمَّد بن يزيدَ بنِ حاتمٍ المُهَلَّبي عاملُ محمَّد، فتوجَّه في جمعٍ عظيم، فنزل قريباً من جُنْدَيْسابور، وهي حدُّ ما بين الأهوازِ والجبل، وجهَّز إليه طاهرٌ القوَّاد ومعهم الجيوش، فلمَّا أشرفوا عليه قال محمَّد لأصحابه: ما ترون؟ فقالوا: الرأي ألَّا نلقاهم، ونرجعَ إلى الأهواز فنقيمَ بها، ونستمدَّ العساكرَ من البصرة وغيرِها.

وبلغ طاهراً، فأمر جماعةً من أصحابه أن يسبقوه إلى الأهواز، فسبقه قريشُ بن

---

(١) نسبة إلى الحربية محلة كبيرة ببغداد. انظر الأغاني ٢٠/ ١٤ . والأبيات في تاريخ الطبري ٨/ ٤٣١، وذيل الديوان ص١٢٢ منسوبة له أو للخريمي.

(٢) الشطب: السيف. القاموس المحيط (شطب).

شبل، فبادره محمَّد ودخل المدينة، ودعا بالأموال فصُبَّت بين يديه، وجاء قريش، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وظهر قريشُ بن شبل عليهم، وتراجع الناس، فقال محمَّد بن يزيد لمواليه ونفرٍ كانوا معه: ما رأيكم؟ فإنِّي لستُ آمَن خذلانَ مَن معي، وقد عزمت على القتال بنفسي حتى يقضيَ اللهُ ما أحبّ، فمَن أراد منكم الانصرافَ فلينصرف، فو الله العظيم لأَن تبقَوا أحبُّ إليَّ من أن تموتوا. فقالوا: لا والله ما أنصفناك إذ قد أعتقتَنا من الرِّقِّ، ورفعتَنا بعد الضَّعَة، وأغنيتَنا بعد الفقرِ ثم نَخذلك، لا واللهِ بل نتقدَّم أمامك، ونموت تحت رِكابك، فقبَّح اللهُ الدنيا والعيشَ بعدك.

ثم نزلوا فعَرْقَبوا دوابَّهم، وحملوا على أصحاب قريشٍ حملةً مُنْكَرة، فأكثروا فيهم القتل، وانتهى بعضُ أصحاب طاهرٍ إلى محمَّد بنِ يزيد، فطعنه وصرعه، وتبادروه فقتلوه، وكان محمَّد بنُ يزيدَ جواداً ممدَّحاً شجاعاً، فقال بعض أهل البصرةِ يَرثيه: [من المنسرح]

مَن ذاق طعمَ الرُّقاد من فَرَحٍ ... فإنَّني قد أضَرَّني سَهَري
ولَّى فتى الرُّشْدِ فافتقدتُ به ... قلبي وسمعي وغَرَّني بصري
كان غِياثاً لدى المُحولِ فقد ... ولَّى غَمامُ الرَّبيع بالمَطَرِ[1]

وقال بعضُ المَهالبة في تلك الواقعةِ وكان قد جُرح وقُطعت يده: [من الطويل]

فما لُمتُ نفسي غيرَ أنِّيَ لم أُطِق ... حَرَاكاً وأنِّي كنتُ بالضَّرب مُثْخَنا
ولو سَلِمت كفَّايَ قاتلتُ دونه ... وضاربتُ عنه الطَّاهريَّ[2] المُلَعَّنا
فتًى لا يرى أن يَخْذِلَ السيفَ في الوَغى ... إذا ادَّرَع الهَيْجاءَ في النَّقْعِ واكتنى

ودخل عُيينة[3] المُهَلَّبي على طاهرٍ فأنشده: [من المنسرح]

مَن آنَستْه البلادُ لم يَرِمِ ... منها ومَن أوحشَتْه لم يُقِمِ

إلى قوله:

---

(١) الأبيات في تاريخ الطبري ٨/ ٤٣٤، وابن الأثير ٦/ ٢٦٣.

(٢) في (خ): الطاهر بن الملعنا.

(٣) كذا في (خ)، وفي تاريخ الطبري وابن الأثير: ابن أبي عيينة، وفي الشعر والشعراء ٢/ ٨٧٢: عبد الله بن محمد بن أبي عيينة، وفي الأغاني ٢٠/ ٧٥: محمد بن أبي عيينة.

مـــا ســـاء ظـــنِّـــي إلَّا لـــواحـــدةٍ فـي الـصَّـدر مَـحْـصـورةٍ عـن الـكَـلِـمِ

يشير إلى قتل محمَّد، فقال طاهر[1]: واللهِ لقد ساءني ما ساءك، وآلَمَني ما آلمك، ولقد كنت كارهاً لما كان، غير أنَّ الحتفَ واقع، والمنايا نازلة، ولابدَّ من القيام للخلافة بحُسن الطاعة.

ثم أقام طاهرٌ بالأهواز وبعث عمَّاله إلى كُوَرِها، وولَّى على اليَمامة والبحرين وعُمان، ثم توجَّه إلى واسِط وبها السِّنديُّ بن يحيى الحَرَشي والهيثمُ خليفةُ خُزَيْمةَ بنِ خازم، فلمَّا رأيا عساكرَ طاهر -وكانا على عزم القتال- خافا فهربا، ودخل طاهرٌ واسطاً، وبعث أحمدَ بن المُهَلَّب أحدَ قوَّاده إلى الكوفة، وعليها يومئذٍ العباسُ بن موسى الهادي، فخلع العباسُ محمَّداً، وكتب إلى طاهرٍ بالبيعة للمأمون، وقيل: إنَّ الذي كان على الكوفة من قِبَل محمَّد الفضلُ بن موسى بنِ عيسى، وكان منصورُ بن المهديِّ عاملَ محمَّد على البصرة، فكتب إلى طاهرٍ بالبيعة للمأمون، وخلع الجميع محمَّداً في هذه السَّنة في رجب.

وسار طاهرٌ من واسطٍ يطوي المنازلَ حتى نزل جَرْجَرايا، وولَّى طاهرٌ داودَ بن عيسى ابنِ موسى بن محمَّد بن عليِّ بن عبد الله بن عباسٍ مكةَ والمدينة -وقيل: إنما ولَّاه محمَّد فأقرَّه طاهرٌ على ولايته، وهو الصحيح، لما نذكر- ويزيدَ بن جرير[2] القَسْريَّ اليمن، وبعث الحارثَ بن هشامٍ وداودَ بن موسى إلى قصر ابنِ هُبَيْرَة، وسار من جَرجرايا فنزل المَدائن، فهرب عمَّال محمَّد، ثم صار منها إلى صَرْصَر، فعقد بها جسراً.

وفيها خلع داودُ بن عيسى الأمينَ، والسببُ في ذلك أنَّ الأمين لمَّا ولي الخلافة ولَّى مكةَ والمدينةَ لداود بنِ عيسى، وعزل محمَّد بن عبد الرَّحمن المَخْزومي عاملَ الرشيد على مكَّةَ، وأقرَّه على القضاء، فأقام داود الحجَّ للناس سنةَ ثلاثٍ وتسعين، وسنةَ خمس وتسعين، فلمَّا دخلت سنةُ ستٍّ وتسعين، بلغه خلعُ عبدِ الله المأمونِ أخاه وقتلُ ابنِ ماهان.

وكان محمَّد قد كتب إلى داودَ يأمره بخلع المأمونِ والبيعة لابنه موسى بنِ محمَّد،

---

(١) في (خ): محمد، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٣٤.

(٢) في (خ): حرب، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٣٦، وابن الأثير ٦/ ٢٦٤، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٤٣.

وبعث محمَّد فأخذ الكتابين اللذين كانا في الكعبة ومزَّقهما، فجمع داودُ أشرافَ مكة من قريشٍ، وحَجَبة البيتِ، ومَن كان بها من العلماءِ، ومَن في الكتابين ـ وكان داودُ أحدَ الشهود ـ فقال لهم: قد علمتم ما أخذ هارونُ علينا وعليكم من العهود والمواثيقِ عند بيت اللهِ الحرام حين بايعنا لابنَيه: لنكوننَّ مع المظلوم منهما على الظالم، ومع المبغيِّ عليه على الباغي، ومع المَغْدورِ به على الغادر، وقد بدأ محمَّد بهذه الأشياء كلِّها على أخويه المأمونِ والقاسم، وخلعهما وبايع لابنه طفلٍ صغيرٍ رضيعٍ لم يُفطم، واستخرج الكتابين من الكعبة غاصباً ظالماً، فحرقهما بالنار، وقد وجب خلعُه والبيعةُ لأخيه المأمون، فأجابه القومُ وقالوا: رأيُنا رأيك، ونحن لك تَبَع. فوعدهم صلاةَ الظهر، وأرسل إلى حُجَّاج[1] مكةَ صائحاً يصيح: الصلاةُ جامعة، فاجتمعوا، وذلك يومَ الخميس لسبعٍ وعشرين ليلةً خلت من رجب. فخرج داودُ وصلَّى بالناس الظهر، ووُضع المنبرُ بين الرُّكن والمقام، وصعده -وكان خطيباً- فقال: الحمدُ لله ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]الآية، وصلَّى على النبيِّ ﷺ ثم قال: أما بعد، يا أهلَ مكة، فأنتم الأصلُ والفرع، والعِشرةُ والأُسرة، والشركاءُ في النعمة، إلى بلدكم يَفدُ وفدُ الله، وبقِبلتكم يأتمُّ المسلمون، وقد علمتم ما أخذ هارونُ رحمه الله حين بايع لابنَيه محمَّد وعبدِ الله علينا وعليكم من العهود والمواثيق. وذكر بمعنى ما تقدَّم ثم قال:

وقد غدر محمَّد ونكث وظلم وبغا، وخالف الشروطَ التي أعطاها من نفسه في جوف بيتِ الله الحرام، وقد حلَّ لنا ولكم خلعُه [من الخلافة][2] وتصييرُها إلى المظلوم، ألا وإني قد خلعت محمَّد بن هارون كما خلعت قَلَنْسُوتي هذه من رأسي، وخلع قلنسوتَه ورمى بها إلى بعض الخدَّام، وكانت من بُرد حِبَرة[3]، وأتى بقَلَنسوة سوداءَ هاشميةٍ فلبسها، ثم قال: وقد بايعتُ عبدَ الله المأمونَ فبايعوه. وكان ابنُه سليمانُ على المدينة، فكتب إليه ففعل كذلك.

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٤٣٩: فجاج، وفي تاريخ ابن الأثير ٦/ ٢٦٦: شعاب.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري.

(٣) الحبرة: ضرب من برود اليمن. القاموس المحيط (حبر).

ثم دخل داودُ من مكةَ إلى البصرةِ ومعه جماعةٌ من ولده، فقدم البصرة، ثم سلك على فارسَ وكَرْمانَ فقدم على المأمون بمرو، فأكرمه ووصله وأحسنَ إليه، وتيمَّن ببَيعته له بمكةَ والمدينة، وأقام داودُ عنده حتى قرب موسمُ الحج، فكتب معه كتاباً إلى أهل المدينة ومكةَ يَشكرهم ويَعِدهم الخير، وأضاف إلى داودَ ولاياتٍ أخر، وكتب له إلى الرَّيِّ بخمس مئةِ ألف درهم معونة، وخرج داودُ مسرعاً ومعه ابنُ أخيه العباسُ بن موسى بنِ عيسى، وعقد المأمونُ للعباس على الموسم، فسارا حتى نزلا بغدادَ وطاهرٌ يحاصرها، فأكرمهما وأحسن معونتَهما، وجهَّز معهما يزيدَ بن جريرِ[1] بن خالد القَسري، وسارا جميعاً فشهدوا الموسم.

وحجَّ بالناس العباسُ بن موسى، ودعا للمأمون، وهو أوَّل موسمٍ دُعي له فيه بالخلافة بمكَّة والمدينة، فلما صدروا من الحجّ، انصرف العباسُ بن موسى إلى بغدادَ وطاهرٌ يحاصرها، وأقام داودُ على عمله، ومضى يزيدُ إلى اليمن، فأخذ البيعةَ للمأمون، وسار فيهم بأحسنِ سيرة.

وفيها عقد محمَّد نحواً من أربع مئة لواءٍ لقوَّادٍ شتى، وأمَّر عليهم عليَّ بن محمَّد بنِ عيسى بن نَهيك، فالتقَوا بهَرْثَمةَ على النَّهْرَوان، فهزمهم، وأسر ابنَ نَهيكٍ، وبعث به إلى المأمون، وذلك في رمضان، ونزل هرثمةُ النهروان.

وفيها استأمن إلى محمَّد جماعةٌ من جند طاهر، فأعطاهم أموالاً عظيمة، وغلَّف لِحاهم بالغالية، وكانوا خمسةَ آلافٍ من جند خراسان، فسُرَّ بهم محمَّد، وجهَّزهم مع جندٍ من عسكره إلى قتال طاهر، فالتقاهم طاهر، فهزمهم وغنم ما في عسكرهم، وبلغ محمَّداً، فأخرج ما في خزائنه وذخائرِه، وفرَّق الصِّلات، وجمع أهلَ الأرباض، فأعطاهم ووصلهم، وأعطى كلَّ واحدٍ منهم خمسَ مئةِ درهمٍ وقارورةَ غالية، ولم يُعطِ أصحابه شيئاً، وبلغ طاهراً، فكتب إليهم فاستمالهم، فشَغَبوا على محمَّد، وذلك في ذي الحِجَّة، فقال شاعرٌ من أهل بغداد: [من السريع]

قل لأمين اللهِ في نفْسه ... ما شَتَّت الجُندَ سوى الغاليهْ

---

(١) في (خ): حرب، والمثبت من تاريخ الطبري وابن الأثير.

وطاهرٌ[١] نفسي تقي طاهراً ... برُسْله والعُدَّةِ الكافيه
أضحى زِمامُ المُلْكِ في كفِّه ... مُقاتلاً للفئة الباغيه
يا ناكِثاً أسلَمَه نَكثُه ... عيوبُه من خُبثه فاشيه
قد جاءك اللَّيثُ بشَدَّاته ... مُسْتَكْلِباً في أُمَّةٍ ضاريه
فاهربْ ولا مَهْرَبَ مِن مثله ... إلَّا إلى النارِ أو الهاويه

فلمَّا شغب الجندُ على محمَّد، قال له خواصُّه وقوَّاده: تدارك أمرَك؛ فإنَّ بهم قِوامَ مُلكك، وهم أزالوه في أيَّام الحسين، وهم ردُّوه[٢] عليك، وهم مَن قد عرفتَ نجدتَهم وبأسهم، فلم يلتفت ولجَّ في أمرهم، وبعث إليهم الجندَ ومَن استأمن إليه من أصحاب طاهر، فقاتلوهم، فبعثوا إلى طاهرٍ وأعطَوه رهائنَهم على طاعته وقتالِ محمَّد، فبعث إليهم بالأموال.

ثم رحل من صَرْصَر، فنزل البستانَ الذي على باب الأنبارِ يومَ الثُّلاثاء لاثنتي عشرةَ ليلةً خلت من ذي الحِجَّة بجيوشه وقوَّاده، وخرج إليه من أصحاب محمَّد مَن استأمن إليه، فأكرمهم وأعطاهم الأموال، وضاعف للقوَّاد وأولادِهم العطاء، ونقب أهلُ السجن السجونَ وخرجوا منها، وفُتن الناس، ووثب الدُّعَّار وأهل الفساد والشُّطَّار على أهل الصَّلاح، وعزَّ الفجَّار، وذلَّ المؤمنون، وساءت أحوالُ الناس إلَّا مَن كان في عسكر طاهر؛ لتفقُّده أمرهم، وأخذِه على أيدي سفهائهم، وخَرِبَت بغداد، ونُهبت الأموال، وهُتك الحَريم، وقتل الأخُ أخاه والابنُ أباه، وجرت أحوالٌ لا توصف.

وحجَّ بالناس العباسُ بن موسى، وقد ذكرناه.

فصل وفيها توفي

عبدُ الله بن مَرْزوق

أبو محمَّد، الزَّاهدُ البغدادي.

[قال أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي:][٣] كان وزيرَ الرشيد، فخرج من ذلك وتخلَّى عن

(١) في (خ): وطاهراً، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٤٣، والبداية والنهاية ١٤/ ٩١.
(٢) في (خ): يردوه، والمثبت من تاريخ الطبري.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، ونقله عن السُّلمي ابن الجوزي في المنتظم ١٠/ ٣٢، وليس في طبقاته.

ماله وتزهَّد، وكان كثيرَ البكاءِ والحزن.

[وقال الخطيب:][1] سبب تزهُّده وتخلِّيه عن الدنيا: أنَّه نام يوماً عن صلاة الظُّهر، وكانت له جاريةٌ صالحة، فعَمَدت إلى جَمْرةٍ من نارٍ فوضعتها على قدمه، فانتبه فَزِعاً وقال: ما هذا؟! فقالت: هذه نارُ الدنيا، فكيف بنار الآخرة! فقام ودخل على هارونَ فاستعفاه، فأعفاه.

[وروى ابنُ أبي الدنيا عن محمَّد بن إدريسَ، عن عبد الله بن السَّري، عن] سلامةَ[2] قال: [قال] عبدُ الله في مرضه الذي مات فيه: يا سلامة، إنَّ لي إليك حاجة، قلت: وما هي؟ قال: تحملني فتطرحني على تلك المَزْبَلة، لعلي أموت عليها فيرى ذلِّي ومكاني فيرحمني. فلم أفعل. وكانت وفاتُه ببغداد [في هذه السَّنة].

عبدُ الملك بنُ صالح

ابنِ عليِّ بن عبد الله بنِ عباس، أبو عبد الرَّحمن الهاشمي[3].

كان شريفاً في بني هاشم، رئيساً نبيلاً، وأمُّه أمُّ ولد لمروانَ بنِ محمَّد، فتَسَرَّاها صالحٌ أبوه، فحملت به، ويقال: إنَّها حملت بعبد الملكِ من مروان؛ ولهذا قال له الرشيدُ لمَّا نقم عليه: ما أنت لصالح، قال: فلمن أنا؟ قال: لمروان، قال: ما أبالي أيّ الفحلَين غلب عليّ.

وولَّاه هارونُ دمشقَ سنة سبعٍ وسبعين، ولما ودَّعه قال له هارون: هل من حاجة؟ قال: نعم، بيني وبينك بيتُ ابن الدَّثِنَة[4] حيث يقول: [من الطويل]

فكوني على الواشين لدَّاءَ شَغْبةً ... كما أنا للواشي ألدُّ شَغوبُ

فنُقل إلى هارونَ أنَّه يُطمع نفسَه في الخلافة، فعزله عن دمشقَ في سنة ثمانٍ وسبعين، فكانت إقامتُه عليها أقلَّ من سنة، ثم أقدمه بغداد، وكان قد كتَب إلى هارونَ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، ولم نقف على كلام الخطيب، والقصة في الوافي بالوفيات١٧/ ٦٠١ .

(٢) في (خ): وقال سلامة، والخبر في المنتظم ١٠/ ٣٢ـ٣٣.

(٣) تاريخ دمشق ٤٣/ ١٥٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ١١٥٩، والسير ٩/ ٢٢١. وهذه الترجمة ليست في (ب).

(٤) في (خ): ابن الدنية، والمثبت من تاريخ دمشق ٤٣/ ١٥٥، والبيت في قصيدة ابن الدمينة الطويلة، انظر ديوانه ١١٢.

قبل أن يُشخِصَه إلى العراق: [من الطويل]

أخِلَّايَ بي شَجْوٌ وليس بكم شجو ... وكلُّ امرئٍ من شجو صاحبه خِلْوُ
مِنَ ايِّ نواحي الأرضِ أبغي رضاكمُ ... وأنتم أناسٌ ما لمَرْضاتكمْ نحوُ
فلا حَسَنٌ نأتي به تَقبلونَه ... ولا إن أسأنا كان عندكمُ عفوُ[1]

من أبيات، فقال هارون: واللهِ لئن كان أنشأها لقد أحسن، ولئن كان رواها لقد أحسن.

وَلِيَ عبدُ الملك الجزيرةَ مرتين، وأقام بالصائفة سنةَ ثلاثٍ وسبعين ومئة، وغزا الرومَ سنةَ خمسٍ وسبعين ومئة، فأخذ سبعةَ عشرَ ألفَ رأسٍ من الروم، وقال: أميرُ السرية كالمضارِب الكيِّس، إن رأى ربحاً تاجر، وإلَّا حفظ رأسَ ماله، ولا يطلب الغنيمةَ حتى يحوزَ السلامة.

ومات لهارونَ ولدٌ وولد له ولدٌ في ليلة، فدخل عليه عبدُ الملك فقال: يا أميرَ المؤمنين، آجرك اللهُ فيما ساءك، ولا ساءك فيما سرَّك، وجعل هذه بتلك جزاءً للشاكرين وثواباً للصابرين.

وكان لعبد الملكِ لسانٌ وبيان على فأفأةٍ فيه[2].

وقال إسحاق الموصلي: كان لجعفرِ بن يحيى يومٌ يخلو فيه بنفسه مع خواصِّه، ويَلبَس الثيابَ المُعَصْفَرات، ويلبَس ندماؤه كذلك، فجلس يوماً على مسرَّته، وقال للبوَّاب: اِحفظ البابَ إلَّا من عبد الملك بن بحران، فوقع في أذن البوابِ عبدُ الملك فقط، وبلغ عبدَ الملك بن صالحٍ جلوسُ جعفرٍ في منزله، ولم يعلم على أيِّ حال، فجاء إلى الباب، فلم يمنعْه البوَّاب ظنًّا منه أنَّه المطلوب، فدخل فرأى جعفراً على تلك الحال، فاسودَّ وجهُ جعفر، وكان عبدُ الملك لا يشرب، وكان ذلك سببَ مَوجِدة هارونَ عليه، فلمَّا رآهم على تلك الحال، قام فخلع سَوادَه وقال: افعلوا بنا مثلَ ما فعلتم بأنفسكم، فقام جعفرٌ وأخرج له ثياباً معصفرة، فلبسها، وقدَّم إليه رطلاً من

(١) تاريخ دمشق ٤٣/ ١٥٥، والوافي بالوفيات ١٩/ ١٦٩. والبيت الأول مطلع قصيدة لأبي العتاهية، وهي في ديوانه ص٦٧٢.

(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٠٢: وكان لابنه عبد الرحمن، ومن طريقه في تاريخ دمشق ٤٣/ ١٦١.

النبيذ، فشربه وقال: واللهِ ما شربته قطّ، فلمَّا أراد الانصراف، قال له جعفر: ما حاجتُك؟ فقال: في قلب أميرِ المؤمنين مني هَنَة، فسلْه الرِّضى عني، فقال: قد رضي عنك، قال: وعليَّ أربعةُ آلاف ألفِ درهم دَين، فسله أن يقضيَها عني، قال: قد قضاها عنك، قال: وابني إبراهيمُ أُحِبُّ أن يشتدَّ ظهرُه بمُصاهَرة أميرِ المؤمنين، قال: قد زوَّجه ابنتَه الغالية[1]، قال: وأحبُّ أن يخفقَ اللواءُ على رأسه، قال: وقد ولَّاه أميرُ المؤمنين مصر، فأخذ يدعو لجعفر، فقال له: هذا الذي أحاطت به مَقدرتي مكافأةً لك على صَنيعك.

قال إسحاق: وانصرف عبدُ الملك ونحن نعجب من إقدام جعفرٍ على قضاء حوائجِه من غير إذنِ هارون، وقلنا: هَبْ أنه يقضي حوائجَه، فكيف بالتزويج؟! فلمَّا كان من الغد، وقفنا بباب هارون، ودخل جعفر، فلم يلبث أن دُعي بأبي يوسفَ القاضي ومحمَّد بن الحسن وإبراهيمَ بن عبد الملك، فدخل وخرج وقد خلع عليه، وعلى رأسه لواءٌ عقده هارونُ بيده على مصر، وزوَّجه ابنته، وخرجت البِدَرُ[2] إلى عبد الملك.

قال: وخرج جعفر، فمَشَينا معه، فلمَّا خَلَونا به قال: لمَّا دخلت على أمير المؤمنين أخبرتُه بما فعل عبدُ الملك، قال: أَحسنَ والله، فما صنعتَ أنت؟ فأخبرته بما ضَمِنْتُ، فقال: أحسنت، ثم دعا بإبراهيمَ فزوَّجه ابنتَه، وولَّاه مصرَ، وقضى دَين عبدِ الملك.

وكان عبدُ الملك محبوساً عند الفضل بنِ الربيع حتى مات هارون، فأطلقه محمَّد، فحلف له إنْ مات محمَّد وهو حيٌّ لا يعطي المأمون طاعةً أبداً.

وكان يقول: واللهِ إنَّ الملك لشيءٌ ما نَويتُه قطّ، ولو أردتُه لكان أسرعَ إليَّ من الماء إلى الجذور، ومن النار إلى يَبِس العَرْفَج[3]، وإني مأخوذٌ بما لم أَجنِ، ومسؤولٌ عما لم أعرف، ولكن لمَّا رآني هارونُ بالمُلك جديراً، وللخلافة خطيراً، ورأى لي يداً تنالها إذا مُدَّت، وكفًّا تبلغها إذا انبسطت، ونفساً تكمل بخصالها[4]، وتستحقُّها

(١) كذا في (خ)، وفي تاريخ دمشق ٤٣/ ١٥٩، ووفيات الأعيان ١/ ٣٣١: العالية. بالمهملة، وقد سلف في ترجمة الرشيد أن من بناته: أمَّ الغالية. والله أعلم.

(٢) جمع: بَدرة: وهي عشرة آلاف درهم. مختار الصحاح (بدر).

(٣) شجر سهلي. القاموس المحيط (عرفج).

(٤) في (خ): بخلاصها، والمثبت من تاريخ دمشق ٤٣/ ١٦٤.

بفعالها، واللهِ ما ترشَّحت لها في السِّرّ، ولا أشرتُ إليها في الجهر، فإن كان إنَّما حبسني لأنِّي أصلح لها، فليس ذلك بذنبٍ جنيتُه فأتوبَ منه، ولا تطاولتُ له فأحطَّ نفسي عنه، وإن كان قصد أن أخرجَ له من حدِّ العلم إلى الجهل، أو من الدِّين إلى ضدِّه، فذلك أمرٌ لا يقتضيه العقلُ والحزم، وإن كان عاقبني على نسبي وحسبي ومحبَّة الناسِ لي، فذلك أمرٌ لا أقدر على زواله، واللهِ لو أردتُها لأَعجلته عن التفكير، ولَشغلته عن التدبير.

وتوفِّي عبدُ الملك بالرقَّة.

أبو معاوية

محمَّد بن خازم الضرير، مولى بني عَمرو بنِ سعد بن زيد مناة التَّميمي [الكوفي السَّعدي، وذكره ابنُ سعد][(١)] في الطبقة السابعةِ من أهل الكوفة.

[وقال الخطيب:] وُلد سنةَ ثلاثَ عشرةَ ومئة، وذهب بصرُه وله أربعُ سنين، فأقام أهلُه عليه مأتماً[(٢)].

و[حكى عنه أيضاً][(٣)] قال: حَجَجْتُ مع جدِّي لأمِّي وأنا غلام، فرآني أعرابيّ، فقال لجدِّي: ما يكون هذا الغلامُ منك؟ فقال: ابني، فقال: ليس بابنك، فقال: ابنُ بنتي، فقال: صدقت، ولَيكوننَّ له شأنٌ من الشأن، وليطأنَّ بقدميه هاتين بساطَ الملوك.

[قال:] فلمَّا قدم هارونُ بعث إلي، فلمَّا دخلت عليه، ذكرت قولَ الأعرابي، فأقبلت ألتمس برجلي البساط، فقال هارون: لم تفعل هذا؟ فحدَّثته الحديث، فأُعجب به. قال: وحرَّكني شيء، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، أَحتاج إلى الخلاء، فقال للأمين والمأمون: خذا بيد عمِّكما فأرياه الموضع، فأخذا بيدي فأَدخلاني الخلاء، فشممت رائحةً طيِّبة، فقالا: يا أبا معاوية، هذا الموضعُ فشأنك، فقضيت حاجتي [وكان

---

(١) في طبقاته ٨/ ٥١٥، وما بين حاصرتين من (ب)، وانظر في ترجمته: تاريخ بغداد ٣/ ١٣٤، وتهذيب الكمال، والمنتظم ١٠/ ٢١، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٦٧، والسير ٩/ ٧٣.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ١٣٤-١٣٥. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) ٣/ ١٣٥ .

هارونُ يصبُّ على يديه الماء، وقد ذكرناه][1].

وقال هارون: لا يُثبت أحدٌ خلافةَ علي بنِ أبي طالبٍ إلا قتلتُه، قال أبو معاوية: فقلت: فلمَ يا أميرَ المؤمنين؟ قالت تَيم: منا خليفة، وقالت عَدِي: منا خليفة، وقال بنو أمية: منا خليفة، فأين حظُّكم يا بني هاشمٍ من الخلافة إلا عليَّ بن أبي طالب؟! فقال: صدقت، لا ينفي أحدٌ عليًّا من الخلافة إلَّا قتلته.

[واختلفوا في وفاته، قال الواقديُّ وابن المَديني: سنةَ ستٍّ وتسعين ومئة[2]. وقال ابنُ سعد[3]: سنةَ خمسٍ وتسعين ومئة، وكذا قال الخطيب[4]: في آخر صفرٍ أو أوَّل[5] ربيعٍ الأول. وقيل: مات في سنة أربعٍ وتسعين ومئة][6] وقدم بغداد، وحدَّث بها عن الأعمش، وكان قد لزمه عشرين سنة، وكان أثبتَ أصحابه، وروى عن هشام بنِ عروةَ وليثِ بن أبي سُليم في آخَرين، وروى عنه الإمامُ أحمد رحمةُ الله عليه وابن مَعين والحسنُ بن عَرَفةَ في آخرين. وكان يحفظ القرآن، وهو ثقة. قال ابنُ سعد: [كان ثقةً إلَّا أنه] كان يدلِّس، وكان مُرجئاً، فلم يشهد وكيعٌ جنازته[7].

قال المصنِّف رحمه الله[8]: وقد ظنَّ قومٌ أن أبا معاويةَ الضريرَ هو أبو معاويةُ الأسود، وليس كذلك، فإنَّ [أبا معاوية] الأسودَ اسمُه اليمان [وقيل: اسمُه كنيته] نزل طَرَسوس، وصحب سفيانَ الثوريَّ وابن أدْهَمَ والفُضَيل، وكان عظيماً في الزُّهد والوَرَع، وكان أسودَ اللون من موالي بني أمية، وكان ابنُ مَعين يقول: إنْ كان بقي أحدٌ

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) لم نقف على هذا القول لأحد، والمنقول عن ابن المديني أنه توفي سنة ١٩٥ كما هو مذهب الجمهور. وعبارة (خ): وتوفي في هذه السنة، وقيل: سنة خمس وتسعين ومئة. وانظر تاريخ خليفة ص٤٦٦، والمنتظم ١٠/ ٢١-٢٢، وتهذيب الكمال، والسير ٩/ ٧٧، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٦٩.

(٣) في طبقاته ٨/ ٥١٥ .

(٤) في تاريخه ٣/ ١٤٦، وأسنده عن محمد بن فضيل.

(٥) في (ب): وأول، والمثبت من تاريخ بغداد.

(٦) هو قول محمد بن عبد الله بن نمير، كما في تاريخ بغداد وغيره.

(٧) طبقات ابن سعد ٨/ ٥١٥، وما بين حاصرتين من (ب).

(٨) في (ب): قلت.

من الأبدال فأبو معاويةَ الأسود[١]. وذهب بصرُه [أيضاً][٢] في آخر عمره، فكان إذا أراد أن يقرأ في المصحف، ردَّ اللهُ عليه بصره، فإذا ترك القراءةَ ذهب بصره.

[وحكى عنه ابن ماكويه الشِّيرازيُّ أنه كان] يلقط الخِرَق من المَزابل ويَرقع بها ثوبَه. وسنذكره في سنة ثمانٍ ومئتين [وقد حكى عنه أحمد بن أبي الحَوَاري وأقرانه.]

أبو الشِّيص

[الشاعر، واسمُه] محمَّد بن رَزِين[٣].

شاعرٌ فصيح [كان يقول: قول الشعر أهونُ عليَّ من شرب الماء].

قال أبو بكر ابنُ الأنباري[٤]: اجتمع أبو الشِّيص ودِعْبِلٌ وأبو نُوَاس ومسلمُ بن الوليد [الملقَّبُ بصَريع الغَواني] في مجلس، فقالوا ليُنْشِدْ كلُّ واحد منا أحسنَ ما قال من الشعر، وهناك رجلٌ فقال: أنا أُخبركم بما ينشد كلُّ رجلٍ منكم، قالوا: هات، فقال لصريع الغواني مسلم بن الوليد: كأنِّي بك تُنشد: [من الطويل]

إذا مـا عَـلَـت مـنـا ذُؤابـةُ واحـدٍ ... وما كان[٥] ذا حِلْمٍ دَعَتْه إلى الجَهْلِ
هـل الـعَـيْشُ إلَّا أن تَـروحَ مـع الـصِّبـا ... وتغدو صَريعَ الكأسِ والأَعيُنِ النُّجْل

[وقد ذكرنا أنَّ الرشيد سمَّاه صريعَ الغواني بهذا البيت] فقال: صدقت، ثم أقبل على أبي نُواسٍ وقال: كأنِّي بك وقد أنشدت: [من البسيط]

لا تـبـكِ لـيـلـى ولا تـطـربْ إلـى هـنـد ... واشربْ على الوَرْد من حمراءَ كالوردِ
تَسقيك من عَينها خَمْراً ومن يدها ... خمراً فمالك من سُكرَين من بُدِّ[٦]

---

(١) قائله يحيى بن يحيى النيسابوري، كما في تاريخ دمشق ١٩/ ١٨٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٦٩، والعبارة فيهما: فحسين الجعفي وأبو معاوية الأسود.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) ويقال: محمد بن عبد الله بن رزين، انظر الشعر والشعراء ٢/ ٨٤٣، والأغاني ١٦/ ٤٠٠، وتاريخ بغداد ٣/ ٣٩٤، والمنتظم ١٠/ ٣٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ١١٩٧. وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (ب): وحكى أبو بكر بن الأنباري قال، والمثبت من (خ)، والخبر في المنتظم.

(٥) في الأغاني ١٦/ ٤٠٢: وإن كان، ورواية الديوان ص٤٢:

إذا مـا عـلـت مـنـا ذؤابـة شـارب ... تمشت به مشي المقيد في الوحل

(٦) ديوانه ص١٨٠.

فقال له: صدقت، ثم أقبل على دِعْبلٍ فقال: كأنِّي بك تنشد: [من الكامل]

أيــن الــشَّــبــابُ وأيَّــةً سَــلَــكــا لا أيــنَ يُــطــلَــب ضَــلَّ بــل هَــلَــكـا
لا تَـعـجَـبـي يـا سَـلْـمُ مـن رجـلٍ ضَـحـك الـمَـشـيبُ بـرأسـه فـبكـى[1]

فقال: صدقت، ثم أقبل على أبي الشِّيص وقال: كأنِّي بك تنشد: [من الكامل]

لا تُـنــكــري صَــدِّي ولا إعــراضــي لـيس الـمُـقِـلُّ عـن الـزمـان بـراضـي[2]

فقال أبو الشِّيص: لا، ما أردتُ هذا، ولا هذا أجود شعرٍ قلت، قالوا: فأنشدنا ما بدا لك، فأنشدهم: [من الكامل]

وقف الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي مُــتــأخَّــرٌ عــنــه ولا مُــتَــقَــدَّمُ
أجِـدُ الـمَـلامـةَ فـي هَـواكِ لَـذيـذةً حُـبًّـا لـذِكـرك فـلْـيَـلُـمْـني الـلُّـوَّم
أشـبَـهْـتِ أعـدائـي فـصـرتُ أُحـبُّـهـمْ إذ كـان حـظِّـي مـنـكِ حـظِّـي مـنـهـمُ
وأهَـنْـتِـنـي فـأهَـنْـتُ نـفـسـي صـاغِـراً مـا مَـن يَـهـونُ عـلـيـكِ مـمَّـن يُـكـرَم

فقال الجماعة: أحسنتَ واللهِ وأجدْتَ، وتوفِّي وقد ذهب بصرُه رحمةُ الله عليه.

وَكيع بن الجَرَّاح

ابن مَليح بن عَدي، أبو سفيان الرُّؤاسي[3].

[ذكره ابنُ سعد] في الطبقة السابعة من أهل الكوفة [ونسبه فقال: وكيع بن الجراح ابن مَليح بن عديٍّ بن الفرس بن سفيانَ بنِ الحارث بنِ عَمرو بن عُبيد الله[4] بن رُؤاس ابن كِلاب بن ربيعةَ بن عامر بنِ صَعْصَعَة].

حجَّ سنةَ ستٍّ وتسعين، ثم انصرف من الحجِّ، فمات بفَيْد في المحرَّم سنةَ سبعٍ وتسعين ومئة [في خلافة محمَّد بن هارون]، وكان ثقةً مأموناً عالماً رفيعاً كثيرَ الحديث حُجَّة.

---

(١) ديوانه ص٢٠٣-٢٠٤.

(٢) في (ب) و (خ): ليس الزمان عن المقل براضي. والمثبت من الشعر والشعراء ٢/ ٨٤٥، والأغاني ١٦/ ٤٠٢، والمنتظم ١٠/ ٣٤، والوافي بالوفيات ٣/ ٣٠٣.

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٦٤٧، وتاريخ دمشق ١٧/ ٧٨٣ (مصورة دار البشير)، والمنتظم ١٠/ ٤٢، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٣٠، والسير ٩/ ١٤٠.

(٤) في طبقات ابن سعد ٨/ ٥١٧: عبيد. وما بين حاصرتين من (ب).

[هذا قولُ ابن سعد، وقال غيرُه: كان أبوه الجرَّاحُ على بيت مالِ الكوفة] ومولدُ وكيعٍ في سنة تسعٍ وعشرين ومئة. وقيل: إنه وُلد في سنة ثمانٍ وعشرين ومئة [قال ابنُ عساكر: كان يُفتي على مذهب أبي حنيفةَ، وأخذ عن أبي حنيفة شيئاً كثيراً[١].

وقد ذكرنا أنَّ هارونَ أقدمه إلى بغدادَ وعرض عليه القضاء فامتنع. وحكى الخطيبُ عن أبي نُعيم أنه قال: ولد وكيعٌ سنةَ ثلاثين ومئة][٢].

وكان جواداً حليماً، جاءه رجلٌ فقال: إني أَمُتُّ إليك بحُرمة، قال: وما حرمتُك؟ قال: كتبتَ من مِحبَرتي في مجلس الأعمش، فقام وكيعٌ ودخل منزله فأخرج صُرَّة فيها دنانيرُ وقال: أُعذرني فما أملك غيرَها.

[وقال الخطيب: جاء رجلٌ إلى وكيع] فأغلظ[٣] له، فدخل بيتاً، وعفَّر وجهَه في التراب، ثم خرج فقال للرَّجل: زِدْ وكيعاً، فلولا ذنبُه ما سُلِّطت عليه.

[وروى أبو نُعيم عن] سالم بنِ جُنادة [قال][٤]: جالست وكيعاً سبعَ سنين، فما رأيته بَصَق، ولا مسَّ بيده حَصاة، وما رأيته إلَّا مستقبلَ القبلة، وما سمعتُه يحلف بالله[٥].

وكان يصوم الدهرَ ويختم القرآن كلَّ ليلة. وقال الإمام أحمدُ رحمه الله[٦]: حجَّ وكيعٌ سبعين حجَّة، فما اتّكأ، ولا نام في مَحْمِل.

وقال: مَن قال: إنَّ القرآنَ مخلوق، فهو كافرٌ بالله العظيم. وكان يقول: زكاة الفطرِ لشهر رمضانَ كسجدتي السَّهوِ للصلاة، تَجْبُر نقصانَ الصوم كما تجبر سجدتا السهو نقصانَ الصلاة.

---

(١) تاريخ دمشق ١٧/ ٧٩٢.

(٢) كذا في (ب)، وفي (خ): ولد سنة تسع وعشرين، وقيل: سنة ثمان وعشرين ومئة، وقيل: سنة ثلاثين. والذي في تاريخ بغداد ١٥/ ٦٦٦: قال أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل: وكيع كان بينه وبين أبي نعيم سنة . . . ولد وكيع سنة تسع وعشرين، وأبو نعيم سنة ثلاثين.

(٣) في (خ): وجاءه رجل إليه فأغلظ، والخبر في تاريخ بغداد ١٥/ ٦٥٦.

(٤) في (خ): وقال سالم بن جنادة.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٩.

(٦) في (ب): وحكى الحافظ ابن عساكر عن أحمد بن حنبل قال، والمثبت من (خ).

و[قال هشام بنُ عمار:][1] قدَّم رجلٌ رجلاً إلى شريكٍ القاضي، فادَّعى عليه بمئة ألفِ دينار، فأقرّ، فقال شريك: لو أنكر لم أقبلْ عليه إلَّا شهادةَ وكيعٍ وعبدِ الله بن نُمَير.

وقال وكيع: أتيت الأعمشَ فقلت: حدِّثني، فقال: ما اسمُك؟ قلت: وكيع، قال: اسمٌ نبيل، وما أظنُّك إلَّا سيكون لك نبأ، أين تنزل من الكوفة؟ قلت: في بني رُؤاس، قال: أين من منزل الجرَّاح بنِ مَليح؟ قلت: ذاك أبي -وكان أبي على بيت المال- فقال: اذهب وجئني بعطائي وتعالَ حتى أحدِّثَك بخمسة أحاديث، فجئت أبي وأخبرته، فقال: خذ نصفَ العطاءِ واذهب به، فإذا حدَّثك بالخمسة فخذ النصفَ الآخرَ فاذهب به حتى تكونَ عشرة، قال: فأتيتُه بنصف عطائه، فأخذه فوضعه في كفِّه ثم سكت، فقلت: حدِّثني، فأملى عليَّ حديثين، فقلت: وعدتني بخمسة، قال: فأين عطائي كلُّه؟ أَحسِبُ أنَّ أباك أمرك بهذا ولم يعلم أنَّ الأعمشَ مدرَّب قد شهد الوقائع، اذهب فجئْ بتمامه، وتعالَ حتى أحدِّثَك بخمسة أحاديث، فجئتُه بعطائه، فحدَّثني بخمسة أحاديث، فكنت إذا كان أوَّل كلِّ شهر آتيه بعطائه فيحدِّثني بخمسة أحاديث.

أسند وكيعٌ عن أبيه، وعن سفيانَ الثوريِّ وغيرِهما، وروى عنه الإمام أحمدُ رحمه اللهُ وغيره.

واتَّفقوا على صدقه وثقته، وكان الإمام أحمدُ يقول: عليكم بوكيع؛ فإنه حافظٌ حافظ، وعليكم بمصنَّفاته.

وقال الإمام أحمدُ رحمةُ الله عليه لعباس الدُّوري: لو رأيتَ وكيعاً لعلمتَ أنَّك لم ترَ مثله، وما رأت عيناي مثلَ وكيعٍ قطّ، يحفظ الحديثَ جيِّداً، ويذاكر بالفقه فيُحسن، مع ورعٍ واجتهاد، ولا يقع في أحد.

وقيل للإمام أحمدَ رحمه الله: أيُّما أحبُّ إليك، وكيعُ بن الجرَّاح أو عبد الرَّحمن بن مَهْدي؟ فقال: أما وكيع، فصديقُه حفص بنُ غياث، ولي القضاءَ فما كلَّمه وكيعٌ حتى مات، وأما ابنُ المهدي، فصديقه معاذُ بن معاذٍ العَنْبَري، ولي القضاءَ فما فارقه حتى مات[2].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) ما بعد هذا إلى نهاية الترجمة من (ب).

[واختلفوا في وفاته، فحكينا عن ابن سعد: في سنة سبعٍ وتسعين ومئة، وقال الواقدي: في سنة ستٍّ وتسعين ومئة، وقال إبراهيمُ الحربي: حجَّ فأخذه البطن، فما زال به إلى فَيْد، فكان ينزل في كلِّ ميلٍ مراراً، فمات بفَيد، ودُفن في الجبل آخرَ القبور في سنة ثمانٍ وتسعين ومئةٍ في المحرَّم[١] وله ستٌّ وستون سنة. وقال الخطيب[٢]: حدَّث وكيع وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثين.

قلت: وقد أخرج له جدِّي في «المنتظم»[٣] أثراً فقال: حدَّثنا أبو منصور بنُ خَيْرون بإسناده عن إسماعيلَ بنِ أبي خالد[٤]، عن عبد الله، أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا مات لم يُدفن حتى ربا بطنُه وانشنت خِنْصِراه. قال قتيبة[٥]: حدَّث بهذا الحديثِ وكيعٌ وهو بمكة، وكانت سنة حجَّ فيها هارونُ الرشيد، فقدَّموه إليه، فدعا هارونُ سفيانَ بن عيينةَ وعبدَ المجيد بنَ عبد العزيز بن أبي رَوَّاد فقال: ما تقولون في هذا؟ فأما عبدُ المجيد فقال: يجب أن يُقتلَ هذا؛ لأنَّه ما رواه إلا وفي قلبه غشٌّ للنبي ﷺ، وأما ابنُ عيينة فقال: لا يجب عليه القتل؛ لأنه رجلٌ سمع شيئاً فرواه، إنَّ المدينة شديدة الحرّ، ورسولُ الله ﷺ إنما توفِّي يومَ الإثنين ونزل في قبره ليلةَ الأربعاء؛ لأن القومَ كانوا في إصلاح أمرِ الأمَّة، واختلفت قريشٌ والأنصار؛ فلذلك تغيَّر.

قلت: اعتذار سفيانَ أكبرُ من ذنب وكيع؛ لأنَّا قد روينا في صدر الكتابِ في آخر سيرةِ النَّبي ﷺ حديثَ أوس بنِ أوسٍ الثقفي، أخرجه أحمدُ في «المسند»[٦] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ يومَ الجمعة خَلَقَ الله آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصَّعقة، فأكثروا عليَّ، من الصلاة فيه، وإنَّ صلاتكم معروضةٌ عليّ، قالوا: يا رسولَ الله،

(١) في تاريخ بغداد ١٥/ ٦٦٦: في آخرها. وليس فيه قوله بعده: وله ست وستون سنة، بل خرجه ١٥/ ٦٦٧ من قول الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

(٢) خرجه عن إبراهيم الحربي ١٥/ ٦٤٩.

(٣) ١٠/ ٤٣-٤٤، وأخرجه ابن عساكر ١٧/ ٨٠٥، وانظر السير ٩/ ١٦٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٣٧ وكلامه فيهما.

(٤) وهو شيخ وكيع في هذا الأثر.

(٥) هو الراوي عن وكيع هذا الأثر.

(٦) برقم (١٦١٦٢).

وكيف تُعرَض عليك صلاتُنا وقد أَرَمْتَ! -أي بليت- فقال: إنَّ الله حرَّم على الأرض أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء». وأخرجه أبو داودَ في «السُّنن»[١] فكيف يتصوَّر أنه يتغيّر؟! وقد روينا عن أحمدَ في «المسند»[٢] من حديث أبي هريرةَ عن النبِّي ﷺ أنَّه قال: «ما من أحدٍ يسلِّم عليَّ إلَّا ردَّ اللهُ إليَّ روحي حتى أردَّ عليه».

وإذا كان البدن قد بلي واضمحلّ، فما بقي شيءٌ ترجع الروحُ إليه، وقد كان الواجبُ الإعراضَ عن رواية مثلِ هذه الآثار، التي لها في القلب آثار، ومذهبُ جماعةٍ من العلماء أنَّ النبيَّ ﷺ حيٌّ في قبره، والواجب الإقْرارُ[٣] بمثل هذا لرسول اللهِ ﷺ وتعظيماً لقدره.

قلت: ووقفت بعد هذا التاريخِ على كتابٍ من تصنيف الحافظِ أبي بكر أحمدَ بن الحسين بن عليٍّ البيهقيِّ سمَّاه كتابَ «حياة الأنبياءِ في قبورهم» بعث به إلى أبي سليمانَ خالدِ بن يوسفَ النابُلُسي المحدِّث، وهو سماعُه من . . .[٤] وفيه أخبار، من جُملتها ما رواه أنسٌ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم يصلُّون»[٥] وفي روايةٍ[٦] عن أنسٍ عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الأنبياءَ لا يُترَكون في قبورهم بعد أربعين ليلة، ولكنهم يصلون في قبورهم بين يدي الله تعالى حتى يُنفَخ في الصُّور» ومعناه: لا يُتركون ولا يصلُّون إلى هذا المقدار.

ورَوَى عن سفيانَ الثوريِّ قال: قال سعيدُ بن المسيَّب[٧]: ما مكث نبيٌّ في قبره أكثرَ من أربعين ليلةً حتى يُرفع. وذَكَرَ حديث المعراجِ وأن نبيَّنا ﷺ مرَّ بموسى وهو قائمٌ يصلِّي في قبره، وهو في الصحيح][٨].

---

(١) برقم (١٠٤٧) و (١٥٣١)، والنسائي ٣/ ٩١، وابن ماجه (١٠٨٥) و (١٦٣٦).

(٢) برقم (١٠٨١٥)، وأخرجه أبو داود (٢٠٤١).

(٣) غير واضحة في (خ)، ولعل المثبت هو الصواب.

(٤) كلمة غير واضحة.

(٥) حياة الأنبياء بعد وفاتهم (١).

(٦) برقم (٤).

(٧) في حياة الأنبياء (٥): قال شيخ لنا عن سعيد بن المسيب.

(٨) صحيح مسلم (٢٣٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه.